

# الأميرة القاسية

كامل كيلاني



# الأميرة القاسية



# الأميرة القاسية

تأليف  
كامل كيلاني



رقم إيداع ٢٠١٢ / ١٦٢٧٥

تدمك: ٥ ٠٠١ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

**كلمات عربية للترجمة والنشر**

جميع الحقوق محفوظة للناشر كلمات عربية للترجمة والنشر  
(شركة ذات مسئولية محدودة)

إن كلمات عربية للترجمة والنشر غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره  
وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

ص.ب. ٥٠، مدينة نصر ١١٧٦٨، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٢٧٤٣١ + فاكس: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥١ +

البريد الإلكتروني: [kalimat@kalimat.org](mailto:kalimat@kalimat.org)

الموقع الإلكتروني: <http://www.kalimat.org>

الغلاف: رسم ورود الصاوي.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لشركة كلمات عربية  
للترجمة والنشر. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية  
العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2011 Kalimat Arabia.

All other rights related to this work are in the public domain.

# المحتويات

٧

١٣

١٩

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث



## الفصل الأول

### (١) الأَمِيرُ الصَّغِيرُ

عَاشَ فِي إِحْدَى مَمَالِكِ الْهِنْدِ الْوَاسِعَةِ، أَمِيرٌ صَغِيرٌ، مَعْرُوفٌ بِرَجَاحَةِ الْعَقْلِ، وَالْإِحْسَانِ، وَحُبِّ الْخَيْرِ. وَكَانَ — عَلَى صِغَرِ سِنِّهِ — مُتَمَيِّزًا فِي فُنُونِ الْحَرْبِ، بَارِعًا فِي الْمَوْسِيقَى. وَقَدْ أَتَقَنَ — إِلَى ذَلِكَ — كَثِيرًا مِنَ الصَّنَاعَاتِ وَالْحِرَفِ، فَذَاعَ صِيئَتُهُ فِي جَمِيعِ الْأَقْطَارِ، وَأَعْجَبَ بِهِ النَّاسُ، وَأَحَبَّهُ الشَّعْبُ حُبًّا شَدِيدًا.

### (٢) حُزْنُ الْأَمِيرِ

كَانَ هَذَا الْأَمِيرُ الصَّغِيرُ يُسَمَّى «كُوسَا». وَقَدْ اعْتَقَدَ النَّاسُ أَنَّهُ أَسْعَدُ أَمْرَاءِ عَصْرِهِ، لِمَا تَمَيَّزَ بِهِ مِنَ الْمَزَايَا النَّادِرَةِ. وَلَعَلَّكَ تَذَهَّشُ إِذَا حَدَّثْتُكَ أَنَّ هَذَا الْأَمِيرَ الصَّغِيرَ لَمْ يَكُنْ سَعِيدًا، بَلْ كَانَ دَائِمَ الْهَمِّ، كَثِيرَ الْأَلَمِ، لَا يِكَادُ يَهْنَأُ لَهُ طَعَامٌ، وَلَا شَرَابٌ وَلَا مَنَامٌ.

### (٣) مَصْدَرُ الْأَحْزَانِ

أَرَاكَ تَسْأَلُنِي عَنِ السَّرِّ فِي شَقَاءِ ذَلِكَ الْأَمِيرِ الْمُحْسِنِ النَّابِغَةِ: فَاغْلَمْ — أَيُّهَا الصَّغِيرُ الْعَزِيزُ — أَنَّ هَذَا الْأَمِيرَ كَانَ، عَلَى بَرَاعَتِهِ وَرَجَاحَةِ عَقْلِهِ، مُشَوَّهَ الصُّورَةِ، دَمِيمَ الْوَجْهِ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ أَهْلِ عَصْرِهِ، مَنْ هُوَ أَوْفَرُ عَقْلًا وَلَا أَقْبَحُ شَكْلًا. وَلَكِنَّ النَّاسَ جَمِيعًا قَدْ نَسُوا دِمَامَةَ وَجْهِهِ، وَلَمْ يَذْكُرُوا إِلَّا جَمَالَ خُلُقِهِ، وَحُسْنَ فِعْلِهِ.



#### (٤) بَيْنَ الْأَمِيرِ وَالْمَلِكِ

فَلَمَّا كَبِرَ الْأَمِيرُ «كُوسَا» قَالَ لَهُ أَبُوهُ الْمَلِكُ «أَكَاكَ»: «لَقَدْ أَصْبَحْتُ — يَا وَلَدِي — شَيْخًا طَاعِنًا فِي السَّنِّ، وَقَدْ دَنَا أَجَلِي، وَأَنْتَ وَلِيُّ عَهْدِي، وَمَلِكُ هَذِهِ الْبِلَادِ مِنْ بَعْدِي. وَقَدْ فَكَّرْتُ فِي تَرْوِيجِكَ مَنْ تَخْتَارُ مِنَ الْأَمِيرَاتِ.»

فَقَالَ الْأَمِيرُ «كُوسَا»: «لَنْ أَفَكَّرَ فِي الزَّوْاجِ — يَا أَبِي — فَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا فَتَاةٌ تَرْضَى بِمَنْ كَانَ مِثْلِي فِي دِمَامَةِ الْخَلْقَةِ.»

فَقَالَ الْمَلِكُ «أَكَاكَ»: «كَلَّا يَا وَلَدِي، فَإِنَّ رَجَاةَ عَقْلِكَ، قَدْ حَبَّبَتْ جَمِيعَ النَّاسِ فِيكَ. فَلَا تَتَرَدَّدْ فِي اخْتِيَارِ مَنْ تَشَاءُ مِنَ الْأَمِيرَاتِ.»

#### (٥) التَّمْتَالُ الذَّهَبِيُّ

وَلَقَدْ حَاوَلَ كُلُّ مِنْهُمَا أَنْ يُفْنِعَ الْآخَرَ، وَدَارَتْ بَيْنَهُمَا مُنَاقَشَاتٌ كَثِيرَةٌ — بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ — وَلَكِنَّهَا كَانَتْ عَلَى غَيْرِ طَائِلٍ (بِلا فائدة).



فَلَمَّا تَعَبَ الْأَمِيرُ «كُوسَا» مِنْ تِلْكَ الْمُنَاقَشَاتِ الْعَقِيمَةِ (الَّتِي لَا فَائِدَةَ فِيهَا)، دَبَّرَ حِيلَةً بَارِعَةً تُخَلِّصُهُ مِنْ هَذَا الْمَأْزِقِ. فَابْتَكَرَ تَمَثَالًا ذَهَبِيًّا رَائِعَ الْجَمَالِ. وَلَمَّا أَتَمَّ صُنْعَهُ، وَأَيَّقَنَ أَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ لَيْسَ فِيهِ فَتَاةٌ عَلَى مِثَالِ هَذَا التَّمَثَالِ، قَالَ لِأَبِيهِ: «إِذَا وَجَدْتُمْ — يَا أَبَتِ — فَتَاةً كَهَذِهِ الَّتِي تَرَى تَمَثَالَهَا أَمَامَكَ، فَإِنِّي سَأَتَزَوَّجُهَا، إِطَاعَةً لِأَمْرِكَ.»

### (٦) رُسُلُ الْمَلِكِ

وَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ «أَكَاكَ» هَذَا التَّمَثَالَ الْفَاتِنَ، يَيْسُ مِنْ زَوْاجِ وَالدِّهِ، لِأَنَّهُ أَيَّقَنَ أَنَّ لَيْسَ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ فَتَاةٌ — مِنَ الْإِنْسَانِيِّ (النَّاسِ) — لَهَا مِثْلُ جَمَالِ التَّمَثَالِ الذَّهَبِيِّ. عَلَى أَنَّهُ بَعَثَ بِطَائِفَةٍ مِنَ الرُّوَادِ وَالرُّسُلِ، لِيَطُوفُوا بِبِلَادِ الدُّنْيَا — قَاصِيَةً وَدَانِيَةً — بِأَحْبَثِ عَنِ الْفَتَاةِ الَّتِي تُشْبِهُ ذَلِكَ التَّمَثَالَ.

### (٧) أَمِيرَةُ «مَادَا»

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ وَالْأَسَابِيعُ وَالشُّهُورُ وَالسَّنُونَ، وَهُمْ يَجُوبُونَ الْبِلَادَ وَالْأَقْطَارَ دُونَ جَدْوَى، حَتَّى بَلَغُوا مَمْلَكَةَ «مَادَا». فَعَلِمُوا أَنَّ لِمَلِكِهَا ثَمَانِي بَنَاتٍ، وَأَنَّ الْأَمِيرَةَ «بَبَهَافَاتِي» — وَهِيَ كُبْرَى أَخَوَاتِهَا — تُعَدُّ أَجْمَلَ بَنَاتِ عَصْرِهَا. وَهِيَ — إِلَى ذَلِكَ — تُشْبِهُ التَّمَثَالَ الذَّهَبِيَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ. فَلَمَّا أَيَّقَنَ الرُّسُلُ بِصِحَّةِ مَا سَمِعُوهُ، ذَهَبُوا إِلَى مَلِكِ «مَادَا». وَأَخْبَرُوهُ بِرَغْبَةِ الْمَلِكِ «أَكَاكَ» فِي تَزْوِيجِ الْأَمِيرَةِ «بَبَهَافَاتِي» لِأَمِيرِهِمُ الْعَظِيمِ «كُوسَا» ابْنِ الْمَلِكِ «أَكَاكَ».

### (٨) مَلِكُ «مَادَا»

فَلَمَّا سَمِعَ مَلِكُ «مَادَا» هَذَا النَّبَأَ، امْتَلَأَ قَلْبُهُ سُرُورًا لِمُصَاهَرَةِ الْمَلِكِ «أَكَاكَ» الَّذِي ذَاعَ صِيئُهُ — وَصِيئٌ وَالدِّهِ — فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الدُّنْيَا، وَأَخْبَرَ الرُّسُلَ بِمُؤَافَقَتِهِ عَلَى هَذِهِ الْمُصَاهَرَةِ.

## (٩) عادة قديمة

فَلَمَّا عَادَ الرَّسُلُ إِلَى مَلِيكِهِمْ، وَأَخْبَرُوهُ بِمَا وَفَّقُوا إِلَيْهِ فِي سَفَرِهِمْ، كَانَ فَرَحُ الْمَلِكِ بِنَجَاحِ مَسْعَاهُمْ بِمِقْدَارِ حُزْنِ وَلَدِهِ «كُوسَا». فَقَالَ لِأَبِيهِ، مُفْرَعِ الْقَلْبِ: «وَأَسْفَاهُ عَلَى مَا فَعَلْتُمْ. فَقَدْ جَلَبْتُمْ عَلَيَّ وَعَلَى تِلْكَ الْأَمِيرَةِ شَقَاءً لَا يُمْحَى، لِأَنَّهَا سَتَنْفِرُ مِنْ رُؤْيَيْتِي، مَتَى رَأَتْ دِمَامَةً وَجْهِي (قَبَاحَةَ صُورَتِي)، وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْبُقَاءَ مَعِيَ أَبَدًا.»

فَقَالَ الْمَلِكُ: «لَقَدْ فَكَّرْتُ فِي هَذَا، وَاهْتَدَيْتُ إِلَى حَلِّ بَارِعٍ يُنْقِذُكَ مِنْ هَذَا الْمَازِقِ. فَإِنَّ مِنْ تَقَالِيدِ أَسْرَتِنَا الْقَدِيمَةِ — الَّتِي دَرَجَ عَلَيْهَا آبَاؤُنَا وَأَجْدَادُنَا — أَنَّ الْفَتَاةَ الْعُرُوسَ لَا تَنْظُرُ وَجْهَ عُرُوسِهَا إِلَّا بَعْدَ سَنَةٍ مِنْ عَقْدِ الزَّوْجِ. وَسَنْجِرِي عَلَى هَذِهِ الْعَادَةِ، فَلَا تُقَابِلِ عُرُوسَكَ إِلَّا فِي دَارٍ مُظْلِمَةٍ، مُدَّةَ عَامٍ بِأَكْمَلِهِ.»

فَقَالَ الْأَمِيرُ «كُوسَا»: «وَلَكِنَّ الْأَمِيرَةَ سَوَّفَ تَرَانِي بَعْدَ ذَلِكَ، وَتَنْفِرُ مِنْ قُبْحِ مَنْظَرِي!» فَأَجَابَهُ الْمَلِكُ «أَكَّاكَ»: «كَلَّا، لَا تَخْشَ ذَلِكَ. فَإِنَّهَا سَتَرَى مِنْ حُسْنِ حَدِيثِكَ، وَكَرَمِ خَلْقِكَ، وَرَجَاحَةِ عَقْلِكَ، مَا يَجْعَلُكَ فِي نَظَرِهَا جَمِيلًا.»

## (١٠) حفلة العرس

لَمْ يَفْتَنِعِ الْأَمِيرُ بَرَأْيِي وَالِدِهِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ مُخَالَفَتَهُ، بَعْدَ أَنْ رَأَى إِصْرَارَهُ عَلَى السَّفَرِ إِلَى مَمْلَكَةِ «مَادَا» لِإِحْضَارِ أَمِيرَتِهَا. وَقَدْ عَادَ بِهَا فِي مَوْكِبٍ حَافِلٍ، ثُمَّ أُقِيمَتِ حَفْلَةُ الزَّوْجِ فِي دَارٍ مُظْلِمَةٍ، كَمَا أَمَرَ الْمَلِكُ. وَلَا تَسَلْ عَن دَهْشَةِ الْأَمِيرَةِ «بَبْهَافَاتِي» حِينَ رَأَتْ ذَلِكَ، وَعَرَفَتْ أَنَّ تَقَالِيدَ الْأُسْرَةِ تَحْتِمُ (تُوجِبُ) عَلَيْهَا أَلَّا تَرَى وَجْهَ زَوْجِهَا قَبْلَ أَنْ تَمُرَّ سَنَةٌ كَامِلَةٌ عَلَى الزَّوْجِ.

وَكَانَ الْأَمِيرُ «كُوسَا» يَجِيءُ كُلَّ يَوْمٍ لِزِيَارَةِ عُرُوسِهِ فِي حُجْرَةٍ مُظْلِمَةٍ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ. وَسُرْعَانَ مَا أَحْبَبَتْهُ زَوْجُهُ لَوْدَاعَةَ خَلْقِهِ، وَسَعَةَ اطِّلَاعِهِ، وَبِرَاعَتِهِ فِي الْمَوْسِيقَى. وَسُرَّتْ بِهِ، وَإِنْ لَمْ تَرَ وَجْهَهُ. وَظَلَّ يَقْضِي سَاعَاتِهِ الطَّوِيلَةَ، مُوقِعًا عَلَى قَيْثَارَتِهِ أَبْدَعِ الْأَحَانِ، أَوْ قَاصًّا عَلَيْهَا أَمْتَعَ الْقِصَصِ، فَتَبْهَجُ، وَتَقُولُ لِنَفْسِهَا: «مَا أَظُنُّ أَنَّ فِي الدُّنْيَا كَلِّهَا أَجْمَلُ مِنْ هَذَا الْأَمِيرِ، وَلَا أَطْيَبُ مِنْهُ قَلْبًا، وَلَا أَرْجَحُ مِنْهُ عَقْلًا.»

وَمَا إِنَّ مَرَّ عَلَيْهَا شَهْرَانِ، حَتَّى اسْتَدَّتْ رَعْبَتُهَا فِي رُؤْيَيْهِ، وَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ كَاشَفَتْهُ بِذَلِكَ، فَاجَابَهَا مَدْعُورًا: «إِنَّ قَوَائِنَ أُسْرَتِنَا وَتَقَالِيدَهَا لَا تُجِزُ مَا تَطْلُبِينَ. فَاصْبِرِي، فَإِنَّ الشُّهُورَ تَمُرُّ سِرَاعًا.»

### (١١) مَوْكِبُ الْأَمِيرِ

فَلَمْ تَسْتَطِعِ الْأَمِيرَةُ صَبْرًا، وَاضْطُرَّتْ — آخِرَ الْأَمْرِ — إِلَى إِغْرَاءِ بَعْضِ خَدَمِهَا بِالْمَالِ، لِيُمَكِّنَهَا مِنْ تَحْقِيقِ هَذِهِ الْأُمْنِيَّةِ. وَتَحَيَّنَ الْخَادِمُ يَوْمًا مِنْ أعيَادِهِمْ، وَأَخْبَرَ مَوْلَاتَهُ أَنَّ مَوْكِبَ الْأَمِيرِ سَيَنْحَرِّكُ بَعْدَ قَلِيلٍ. وَأَصْعَدَ الْأَمِيرَةَ إِلَى الطَّبَقِ الْأَعْلَى مِنَ الْقَصْرِ، حَيْثُ تَشْرَفُ (تُطَلُّ) إِحْدَى نَوَافِذِهِ عَلَى الطَّرِيقِ.

وَرَأَتْ الْمَوْكِبَ يَقْتَرِبُ، وَالرَّايَاتِ وَالْأَعْلَامَ تَخْفُقُ، وَالنَّاسَ يَرْمُونَ أَكَالِيلَ الْأَزْهَارِ عَلَى أَقْدَامِ الْفِيلِ الْأَبْيَضِ الَّذِي يَتَهَادَى بِالْأَمِيرِ. وَسَمِعَتْ أَصْوَاتَ الشَّعْبِ مُرْتَفِعَةً مُنْعَالِيَةً بِالْدُّعَاءِ لَهُ، تُحْيِيهِ أَحْسَنَ التَّحِيَّاتِ.

### (١٢) رُجُوعُ الْأَمِيرَةِ

وَلَمْ تَكُنِ الْأَمِيرَةُ تَرَى زَوْجَهَا، حَتَّى خَابَ أَمْلُهَا، وَاشْتَدَّ خَوْفُهَا. فَصَاحَتْ: «كَلَّا، لَيْسَ هَذَا زَوْجِي أَبَدًا!» فَلَمَّا تَأَكَّدَ لَهَا أَنَّهُ هُوَ الْأَمِيرُ «كُوسَا»، اعْتَرَمَتْ الرُّجُوعَ إِلَى بَلَدِهَا، نَفُورًا (بُغْضًا) وَكُرْهًا) مِنْ دِمَامَتِهِ. وَحَاوَلَ الْمَلِكُ «أُكَّاكَ» أَنْ يُرْغِمَهَا عَلَى أَنْ تَبْقَى فِي الْقَصْرِ، وَلَكِنَّ «كُوسَا» تَوَسَّلَ إِلَيْهِ أَنْ يَدَعَهَا وَشَأْنَهَا.

وَجَيَّنِدُ حَرَجَتْ الْأَمِيرَةَ مِنَ الْقَصْرِ رَاجِعَةً إِلَى بَلَدِهَا، تَحْرُسُهَا حَامِيَةً مِنَ الْجُنْدِ، وَقَدْ مَلَأَتْ قَلْبَ الْأَمِيرِ حُزْنًا وَأَلَمًا، إِذْ نَسِيَتْ شِمَائِلَهُ النَّبِيلَةَ (مَزَايَاهُ الْجَمِيلَةَ)، وَلَمْ تَذْكَرْ إِلَّا قُبْحَ شَكْلِهِ.



## الفصل الثاني

### (١) في مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ

حَزَنَ الْأَمِيرُ لِفِرَاقِ زَوْجِهِ، فَخَطَرَ لَهُ أَنْ يُسَافِرَ إِلَى مَمْلَكَةِ «مادا». وَثَمَّةَ غَيْرِ مَنْ ثِيَابِ  
الإِمَارَةِ، وَارْتَدَى ثَوْبًا شَعْبِيًّا، وَسَافَرَ بِقِيثارَتِهِ. وَقَصَى أَيَّامًا كَثِيرَةً، يَفْتَرِشُ فِي نَوْمِهِ الْأَرْضَ،  
وَيَلْتَحِفُ السَّمَاءَ، (أعني: يَجْعَلُ الْأَرْضَ فِرَاشًا لِنَوْمِهِ، وَالسَّمَاءَ لِحَافًا لَهُ)، حَتَّى وَصَلَ إِلَى  
قَصْرِ الْأَمِيرَةِ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ. فَعَرَفَ — عَلَى قِيثارِهِ — طَائِفَةً مِنَ الْأَنَاشِيدِ الْعَذْبَةِ الَّتِي  
كَانَتْ تَطْرُبُ لَهَا، فَاسْتَيْقَظَ مَنْ فِي الْقَصْرِ مِنْ نَوْمِهِمْ. وَقَدْ حُيِّلَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ — فِي  
أَحْلَامِهِمْ — مُوسِيقَى سَمَاوِيَّةٍ فَاتِنَةٍ.

### (٢) غَضَبُ الْأَمِيرَةِ

وَاسْتَيْقَظَتِ الْأَمِيرَةُ — عَلَى عَزْفِ الْمَوْسِيقَى — وَجَلَسَتْ مُعْتَدِلَةً عَلَى وَسَادَتِهَا. وَعَرَفَتْ أَنَّ  
الْأَمِيرَ «كُوسَا» قَدْ حَصَرَ إِلَى بِلَادِهَا لِإِرْغَمِهَا عَلَى الْعُودَةِ مَعَهُ. وَتَمَثَّلَتْ لَهَا دِمَامَةٌ خَلِقَهُ  
(قَبَاحَةٌ شَكْلِهِ)، فَاشْتَدَّ سَخَطُهَا عَلَيْهِ، إِذْ عَرَفَتْ أَنَّ أَبَاهَا سَيَضْطَرُّهَا إِلَى الرَّجُوعِ مَعَهُ.  
عَلَى أَنَّ «كُوسَا» لَمْ يَكُنْ يَقْصِدُ إِلَى مَا حَسِبَتْهُ الْأَمِيرَةُ، بَلْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ تَعُودَ مَعَهُ  
بِمَحْضِ إِرَادَتِهَا. وَلِهَذَا كَتَمَ أَمْرَهُ، وَجَاءَ إِلَى بِلَادِهَا سِرًّا. وَلَمْ يَسْأَلْ أَنْ يُعْلَمَ بِذَلِكَ أَحَدًا غَيْرَهَا،  
وَأَثَرَ (اخْتَارَ وَفَضَّلَ) أَنْ يُرْسَلَ إِلَيْهَا تَذْكَارًا لَا يَعْرِفُهُ سِوَاهَا.



### (٣) في دُكانِ الخَزَافِ

فَذَهَبَ فِي الصَّبَاحِ البَاكِرِ إِلَى خَزَافِ المَدِينَةِ (بَائِعِ الفَخَّارِ) فَقَالَ لَهُ: «لَقَدْ اتَّقَنْتُ صِنَاعَةَ الخَزَافِ المَلِكِيِّ، فَهَلْ تَعَدِنِي — إِذَا أَعْجَبَكَ فَنِّي وَمَهَارَتِي وَدِقَّةَ صُنْعَتِي — أَنْ تَرْفَعَ مَا أَصْنَعُهُ إِلَى السُّدَّةِ (العَتَبَةِ) المَلِكِيَّةِ؟»

فَقَالَ لَهُ الخَزَافُ: «إِذَا كَانَتْ صِنَاعَتُكَ تَسْتَحِقُّ هَذَا الشَّرْفَ، فَلَنْ أَتَأَخَّرَ عَن تَحْقِيقِ

مَأْرَبِكَ.»

وَجَلَسَ الأَمِيرُ إِلَى عَجَلَةِ الخَزَافِ وَأَدَارَهَا، وَسَوَّى عَلَيْهَا أَقْداحًا تَأَنَّقَ فِي صُنْعِهَا (عَمَلِهَا بِالِإِتْقَانِ). وَقَدْ عَجِبَ الخَزَافُ مِنْ بَرَاعَةِ «كُوسَا»، وَقَالَ لَهُ: «مَا أَجْدَرَنِي أَنْ أَرْفَعَ هَذِهِ الأَقْداحَ المُلُوكِيَّةَ الفَاخِرَةَ إِلَى سُدَّةِ مَلِكِنَا المُعْظَمِ، فَهُوَ مَعْرُوفٌ بِتَشْجِيعِ النَّابِغِينَ.»

(٤) ابْتِهَاجُ الْمَلِكِ

ثُمَّ حَمَلَ الْخَزَّافُ بَعْضَ هَذِهِ الْأَقْدَاحِ إِلَى الْقَصْرِ الْمَلِكِيِّ. فَأَعْجَبَ بِهَا الْمَلِكُ، وَسَأَلَ الْخَزَّافَ عَنْ صَانِعِهَا. فَلَمَّا أَخْبَرَهُ بِهِ قَالَ: «أَعْطَى الصَّانِعُ الشَّابَّ هَذِهِ الْأَلْفَ مِنَ الدَّنَانِيرِ مُكَافَأَةً عَلَى حَذْقِهِ وَبِرَاعَتِهِ. وَاحْمِلْ هَذِهِ الْأَقْدَاحَ الثَّمَانِيَةَ هَدِيَّةً إِلَى بَنَاتِي الثَّمَانِيِ.»

(٥) قَسْوَةُ الْأَمِيرَةِ

فَلَمَّا أَهْدَاهَا إِلَيْهِنَّ، ابْتَهَجْنَ جَمِيعًا بِهَا، مَا عَدَا الْأَمِيرَةَ الْقَاسِيَةَ «بَبَهَافَاتِي»، فَقَدْ أَدْرَكَتْ أَنَّ الْقَدْحَ مِنْ صُنْعِ زَوْجِهَا، حِينَ فَحَصَتْ عَنْهُ، فَاشْمَأَزَّتْ (نَفَرَتْ كَارِهَةً)، وَرَجَعَتِ الْقَدْحَ إِلَى الْخَزَّافِ، وَقَالَتْ لَهُ فِي سُخْرِيَّةٍ لِادِّعَاةٍ: «ارْجِعْ هَذَا الْقَدْحَ السَّمِيجَ، وَأَقْذِفْ بِهِ فِي وَجْهِ صَانِعِهِ السَّخِيفِ، وَأَبْلِغْهُ أَنَّي لَنْ أَقْبَلَ شَيْئًا مِنْ صُنْعِ يَدِهِ.»





## (٦) وداع الخزاف

وَلَا تَسَلْ عَنْ حُزْنِ الْأَمِيرِ حِينَ أُبْلِغَهُ الْخَزَافُ مَا قَالَتْهُ الْأَمِيرَةُ «بِبَهَافَاتِي». فَقَدِ امْتَلَأَ قَلْبُهُ  
 الْمَا وَعَمَّا، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: «وَأَسْفَاهُ! إِنَّهَا لَا تَزَالُ تَحْقِرُنِي لِدِمَامَةِ وَجْهِي، وَقُبْحِ صُورَتِي!  
 وَلِكِنِّي لَنْ أَيْأَسَ، فَلَعَلَّهَا — إِذَا رَأَتْني أَمَامَهَا — تُغَيِّرُ مِنْ رَأْيِهَا، وَيَظْهَرُ لَهَا أَنَّهَا  
 أَسْرَفَتْ (جَاوَزَتْ الْحَدَّ) فِي الْقَسْوَةِ، فَتَنْدَمَ عَلَيَّ مَا فَعَلْتُ.»  
 وَتَمَّةً اعْتَزَمَ الْخِدْمَةَ فِي قَصْرِ أَبِيهَا، بَعْدَ أَنْ مَنَحَ الْخَزَافَ الدَّنَانِيرَ الَّتِي كَافَأَهُ بِهَا  
 الْمَلِكُ، وَوَدَّعَهُ.

(٧) فِي مَطْبِخِ الْقَصْرِ

وَرَأَى — مِنْ أَمَارَاتِ التَّوْفِيقِ وَحُسْنِ الْحِظِّ — أَنَّ رَئِيسَ الطُّهَاهِ فِي الْقَصْرِ، كَانَ يَبْحَثُ — فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ — عَنِ صَبِيٍّ يُعَاوَنُهُ فِي عَمَلِهِ. فَلَمَّا عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُلْحِقَهُ بِالْعَمَلِ، قَالَ لَهُ: «سَأَقْبَلُكَ مَتَى نَجَحْتَ فِي الْإِمْتِحَانِ.»



وَلَقَدْ اشْتَدَّتْ دَهْشَةُ كَبِيرِ الطُّهَاهِ حِينَ رَأَى بَرَاعَةَ هَذَا الْفَتَى وَمَهَارَتَهُ الْفَائِقَةَ، فَقَدَّمَ لِلْمَلِكِ الطَّبَقَ الَّذِي أَعَدَّهُ لَهُ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: «هَذَا أَشْهَى طَعَامٍ أَكَلْتُهُ طَوَّلَ عُمْرِي. فَمَنْ ذَا الَّذِي أَبَدَعَ هَذَا الطَّعَامَ اللَّذِيذَ وَسَوَاهُ؟»

فَقَصَّ عَلَيْهِ رَئِيسُ الطُّهَاهِ (كَبِيرُ الطَّبَّاخِينَ) نَبَأَ ذَلِكَ الْفَتَى الذَّكِيِّ الْمَوْهُوبِ. فَأَمَرَهُ الْمَلِكُ بِمَنْحِهِ أَلْفَ دِينَارٍ مُكَافَأَةً لَهُ، كَمَا أَمَرَ أَنْ يُهَبَّئِيَ هَذَا الشَّابَّ مَائِدَةَ الطَّعَامِ — كُلَّ يَوْمٍ — لَهُ وَلِبَنَاتِهِ الْأَمِيرَاتِ الثَّمَانِي.

## (٨) كِبْرِيَاءُ الْأَمِيرَةِ

وَحِينَ سَمِعَ الْأَمِيرُ «كُوسًا» بِمَا حَدَّثَ، ابْتَهَجَ وَأَعْطَى رَئِيسَ الطُّهَاهِ الدَّنَانِيرَ كُلَّهَا، وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّ سَعِيَهُ — فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ — لَنْ يَخِيبَ. وَبَعْدَ قَلِيلٍ حَانَتْ مِنَ الْأَمِيرَةِ الْقَاسِيَةِ التَّفَاتَةُ، فَرَأَتْ زَوْجَهَا — وَهُوَ فِي ثِيَابِ طَبَّاحٍ — يَحْمِلُ صِحَافَ الْمَائِدَةِ (أَطْبَاقَهَا)، وَهُوَ مُتَعَبٌ مَجْهُودٌ مِنْ كَثْرَةِ الْعَمَلِ طَوْلَ يَوْمِهِ. فَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهَا أَمْرُهُ. وَلَكِنِهَا أَنْكَرَتْ مَعْرِفَتَهُ (تَظَاهَرَتْ بِأَنَّهَا لَا تَعْرِفُهُ). ثُمَّ قَالَتْ لَهُ فِي عَجْرَفَةٍ وَصَلَفٍ: «لَا تُحْضِرْ لِي شَيْئًا مِنَ الطَّعَامِ، فَلَنْ أَكَلَ شَيْئًا تَمَسُّهُ يَدُكَ، وَعَلَيْكَ أَنْ تُوصِيَ عَيْرِكَ بِإِحْضَارِ طَعَامِي.»

فَعَضِبَتْ أَخَوَاتُهَا مِنْ كِبْرِيَائِهَا وَصَلَفِهَا، وَقُلْنَ لَهَا: «لَقَدْ ظَلَمْتِ هَذَا الطَّاهِيَّ، وَأَسَأْتِ إِلَيْهِ بِلَا سَبَبٍ. وَقَدْ كَانَ يَجْدُرُ بِكَ أَنْ تَشْكُرِي لَهُ مَهَارَتَهُ النَّادِرَةَ، الَّتِي مَيَّزَتْهُ عَلَى الطُّهَاهِ أَجْمَعِينَ.»

فَلَمْ تَعْبَأِ الْأَمِيرَةُ الْقَاسِيَةُ بِنَصِيحَةِ أَخَوَاتِهَا، وَأَبَتْ لَهَا كِبْرِيَاؤُهَا أَنْ تَعْتَرِفَ بِخَطِيئِهَا، وَأَصْرَتْ عَلَى الْأَشْرَافِ أَنْ تَشَارِكَ أَخَوَاتِهَا فِي ذَلِكَ الطَّعَامِ الشَّهِيِّ.

## (٩) يَأْسُ الْأَمِيرِ

وَحِينَئِذٍ أَدْرَكَ الْأَمِيرُ التَّاعِسُ أَنَّ كُلَّ جُهْدٍ يَبْدُلُهُ فِي إِرْضَاءِ الْأَمِيرَةِ سَيَذْهَبُ عَبَثًا. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ مَحْزُونًا: «لَقَدْ بَدَلْتُ كُلَّ مَا فِي وَسْعِي دُونَ أَنْ أَظْفَرَ بِطَائِلٍ. وَمَا دَامَتْ هَذِهِ الْأَمِيرَةُ الْقَاسِيَةُ لَا تُعْنَى بِغَيْرِ الْمَظَاهِرِ، وَلَا يَشْغَلُهَا حُسْنُ مَخْبَرِي، عَنْ قُبْحِ مَنْظَرِي، فَإِنِّي سَأَتْرُكُهَا غَيْرَ أَسْفٍ عَلَى فِرَاقِهَا وَلَا نَادِمٍ!»

## الفصل الثالث

### (١) الملوك السبعة

اَعْتَزَمَ الْأَمِيرُ «كُوسَا» أَنْ يَعُودَ إِلَى وَطَنِهِ. وَإِنَّهُ لَيَهُمُّ بِمُغَادَرَةِ الْقَصْرِ، إِذْ سَمِعَ لَغَطًا (كَلَامًا غَيْرَ وَاضِحٍ)، وَرَأَى حَيْرَةً تَبْدُو عَلَى وَجْهِ كُلِّ مَنْ رَأَاهُ. فَلَمَّا سَأَلَ عَنْ جَلِيَّةِ الْخَبْرِ، عَلِمَ أَنَّ صَهْرَهُ مَلِكُ «مَادَا» مَهْمُومٌ مَحْزُونٌ، لِأَنَّ سَبْعَةَ مِنْ جِيرَانِهِ الْمُلُوكِ يَعْتَزِمُونَ حَرْبَهُ — كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ كَبِيرٍ — وَأَنْ سَبَبَ قُدُومِهِمْ إِلَيْهِ أَنَّهُمْ سَمِعُوا بِجَمَالِ الْأَمِيرَةِ «بَبْهَاتِي»، فَجَاءَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَبْتَغِي أَنْ يَنْزَوِّجَهَا. وَقَدْ تَحَيَّرَ الْمَلِكُ فِي أَمْرِهِ، إِذْ رَأَى عَجْزَهُ عَنِ التَّوْفِيقِ بَيْنَ الْمُتَسَابِقِينَ عَلَيْهَا.

فَقَالَ الْمَلِكُ فِي نَفْسِهِ: «لَوْ بَقِيَتْ بِنْتِي مَعَ زَوْجِهَا الْأَمِيرِ «كُوسَا» لَمَا جَرَّتْ عَلَيْنَا كُلُّ هَذِهِ الْمَصَائِبِ.»

### (٢) نصيحة الحكماء

عَلَى أَنَّهُ رَأَى أَنَّ النَّدَمَ عَلَى مَا فَاتَ لَنْ يُجْدِيهِ نَفْعًا، فَاسْتَدْعَى حُكَمَاءَهُ وَمُسْتَشَارِيَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِمْ قِصَّتَهُ، فَأَقْتَوْهُ — مُجْمَعِينَ — أَنَّ الْأَمِيرَةَ «بَبْهَاتِي» قَدْ عَرَّضَتْ سَلَامَةَ الدَّوْلَةِ لِلْخَطَرِ، حِينَ هَرَبَتْ مِنْ زَوْجِهَا، وَلَا بُدَّ مِنْ مُعَاقَبَتِهَا عَلَى ذَلِكَ، بِأَنْ يُقَطَّعَ جِسْمُهَا سَبْعَ قِطَعٍ مُتَسَاوِيَةٍ، ثُمَّ تُهْدَى — إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُلُوكِ السَّبْعَةِ — قِطْعَةٌ مِنْهَا. وَبِهَذَا وَحْدَهُ تَسَلَّمَ الدَّوْلَةُ مِنْ وِيْلَاتِ الْحَرْبِ، وَتَنْجُو مِنْ مَصَائِبِهَا.

فَسَرَى ذَلِكَ الْخَبْرَ فِي الْقَصْرِ، فَارْتَاعَ لَهُ جَمِيعٌ مِنْ فِيهِ.

### (٣) نَصِيحَةُ «كُوسَا»

وَفِيمَا كَانَ الْمَلِكُ جَالِسًا وَحَدَهُ يُفَكِّرُ، إِذْ رَأَى «كُوسَا» يَظْهَرُ أَمَامَهُ فَجَاءَهُ، وَعَلَيْهِ ثَوْبُ الطُّهَاءِ، وَيَقُولُ لَهُ: «أَتَأْتُنِي لِي — يَا مَوْلَايَ — أَنْ أُخْضِعَ لَكَ هَؤُلَاءِ الْمُلُوكَ الْبُغَايِنَ (الظَّالِمِينَ الْمُعْتَدِينَ)، أَوْ أَمُوتَ كَرِيمًا فِي سَبِيلِ الدِّفَاعِ عَنكَ؟»

فَصَاحَ فِيهِ الْمَلِكُ مَدْهُوشًا: «كَيْفَ تَقُولُ؟ أَيْجُرُّوْ خَادِمٌ مِثْلَكَ عَلَى مُحَارَبَةِ سَبْعَةِ مُلُوكٍ مُجْتَمِعِينَ؟»

فَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ كُلَّهَا. فَاسْتَوَلَتْ عَلَيْهِ الدَّهْشَةُ، وَنَادَى بِنْتَهُ، وَسَأَلَهَا عَنْ جَلِيَّةِ الْخَبْرِ. فَلَمَّا تَأَكَّدَ لَهُ صِدْقُ مَا يَقُولُ، صَرَخَ فِيهَا مُهْتَاجًا: «يَا لِلْعَارِ! أَكْذَلِكِ تَجْزِينَ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ؟»

ثُمَّ طَرَدَهَا شَرَّ طَرْدَةٍ، وَطَلَبَ مِنَ الْأَمِيرِ «كُوسَا» أَنْ يَغْفِرَ هَذِهِ الْإِهَانَةَ، فَأَجَابَهُ إِلَى طَلْبَتِهِ.

### (٤) فِي مَيْدَانِ الْحَرْبِ

ثُمَّ أَسْرَعَ «كُوسَا» — عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ كَبِيرٍ — لِمُلَاقَاةِ الْغَزَاةِ الْمَغِيرِينَ. فَلَمَّا بَرَزَ لَهُمْ، صَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى إِهْرَاقِ الدَّمَاءِ، وَقَتْلِ الْأَبْرِيَاءِ، فَلْيَنْزِلْ إِلَى الْمَيْدَانِ مَنْ شَاءَ مِنْ رُؤَسَائِكُمْ السَّبْعَةِ، فَمَنْ أَسْرَنِي أَوْ قَتَلَنِي ظَفَرَ بِالْأَمِيرَةِ، وَمَنْ أَسْرَنَهُ أَوْ قَتَلْتَهُ، فَقَدْ لَقِيَ جَزَاءَهُ الْعَادِلَ، وَكَفَى جَيْشَهُ شَرَّ الْقِتَالِ.»

فَارْتَحَ الْمُلُوكُ السَّبْعَةُ لِهَذَا الرَّأْيِ، وَمَا انْتَصَفَ النَّهَارُ حَتَّى أَسْرَهُمْ جَمِيعًا. فَانْخَذَلَتْ جُيُوشُهُمْ بَعْدَ أَسْرِ مُلُوكِهِمْ.

### (٥) الْحَلُّ السَّعِيدُ

ثُمَّ قَالَ الْأَمِيرُ الْمُنتَصِرُ لِصِهرِهِ مَلِكِ «مَادَا»: «هُؤُلَاءِ أَسْرَاكُ الْخَاضِعُونَ، فَانْفِذْ أَمْرَكَ فِيهِمْ بِمَا تَشَاءُ!»

فَأَجَابَهُ الْمَلِكُ: «الرَّأْيُ مَا تَرَاهُ، فَإِلَيْكَ وَحَدِّكَ فَضْلٌ مَا ظَفَرْنَا بِهِ مِنْ فَوْزٍ وَانْتِصَارٍ.»

فَقَالَ «كُوسا»: «إِنَّ لِلْأَمِيرَةِ «بَبْهَافَاتِي» سَبْعَ أَحْوَاطٍ، وَهُؤْلَاءِ سَبْعَةُ مُلُوكٍ، فَهَلْ تُأَذِّنُ  
— يَا مُوْلَايَ — فِي أَنْ يَتَزَوَّجَ كُلُّ مِنْهُمْ أَمِيرَةً مِنْهُمْ.»  
فَابْتَهَجَ لِهُذَا الْحَلِّ الْمُوقِّفِ السَّيِّدِ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ، وَأَقْرَرَهُ مَلِكُ «مادا» وَالْمُلُوكُ السَّبْعَةُ  
الْآخَرُونَ. وَأُقِيمَتِ حَفَلَاتُ الْأَعْرَاسِ، وَابْتَهَجَ الشَّعْبُ لِهُذَا الْفَوْزِ الْمُبِينِ.

## (٦) نَدَمُ الْأَمِيرَةِ

أَمَّا الْأَمِيرَةُ الْقَاسِيَةُ، فَفَقَدَ جَلَسَتْ — وَحْدَهَا — تَبْكِي حَظَّهَا الْعَاثِرَ، وَتَحَسَّرُ مُتَأَلِّمَةً، لِمَا  
أَسْلَفَتْهُ إِلَى هَذَا الْأَمِيرِ الْعَظِيمِ، مِنْ قَسْوَةٍ وَإِسَاءَةٍ.  
وَأَدْرَكَتْ — حِينِيذٍ — فَضْلَهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الرِّجَالِ، وَتَكَشَّفَ لَهَا مَا تَمَيَّزَ بِهِ مِنْ كَرِيمِ  
الْخِلَالِ، وَحَمِيدِ الْخِصَالِ.  
وَلِكِنَّهَا قَالَتْ فِي نَفْسِهَا: «مَا أَظُنُّهُ يَغْفِرُ لِي حِمَاقَتِي وَقَسَوَاتِي بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا.»

## (٧) عَفْوُ الْأَمِيرِ

وَلَا تَسَلَّ عَمَّا اسْتَوَلَى عَلَى قَلْبِهَا مِنَ الْبَهْجَةِ، حِينَ عَلِمَتْ أَنَّ الْأَمِيرَ «كُوسا» يَدْعُوها إِلَى لِقَائِهِ.  
فَقَدَّ أَسْرَعَتْ إِلَيْهِ تَسْتَعْفِرُهُ، وَارْتَمَتْ عَلَى قَدَمَيْهِ تَلْتَمِسُ عَفْوَهُ، وَتَقُولُ لَهُ: «سَأَكُونُ لَكَ —  
إِذَا تَجَاوَزْتَ عَنْ ذَنْبِي — خَادِمَةً طَائِعَةً لَكَ مَا حَيَّيْتُ.»

فَأَنْهَضَهَا الْأَمِيرُ مُتَرْفِّقًا، وَقَالَ لَهَا مُتَلَطِّفًا: «أَتَرْضَيْنَ أَنْ تَعُودِي مَعِي بِرِغْمِ دِمَامَةٍ وَجْهِي،  
وَقُبْحِ صُورَتِي؟»  
فَأَنْعَمَتِ النَّظَرَ فِيهِ، وَعَجِبَتْ مِمَّا يَقُولُ، لِأَنَّهَا لَمْ تَرَ أَثَرًا لِتِلْكَ الدِّمَامَةِ الَّتِي كَانَتْ تَرَاهَا  
فِي وَجْهِهِ مِنْ قَبْلُ.

وَهَكَذَا تَبَدَّلَ احْتِقَارُهَا إِجْلَالَ، وَكِبْرِيَاؤُهَا تَوَاضُعًا، وَصَاحَتْ قَائِلَةً: «لَقَدْ تَغَيَّرَ كُلُّ شَيْءٍ  
فِيكَ، وَأَصْبَحْتُ أُرَاكَ فِي أَجْمَلِ مَنْظَرٍ، وَأَحْسَنِ مَظْهَرٍ.»

## خاتمة القصة

وَلَا شَكَّ فِي أَنَّكَ تَعْرِفُ — أَيُّهَا الطُّفْلُ الْعَزِيزُ — أَنَّ وَجْهَ الْأَمِيرِ «كُوسَا» لَمْ يَتَبَدَّلْ، كَمَا ظَنَنْتِ  
الْأَمِيرَةَ. وَلَكِنَّ شَجَاعَتَهُ، وَحُسْنَ فَعَالِهِ، وَطِيبَةَ قَلْبِهِ، وَكَرَمَ خِصَالِهِ، قَدْ خَلَعَتْ عَلَيْهِ جَمَالًا  
رَائِعًا، وَحُسْنًا سَاجِرًا.

وَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ، فَقَدْ حَبَّبَتْهُ إِلَى الْقُلُوبِ مَوَاهِبُهُ وَمَزَايَاهُ، وَخَلَدَتْ — عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ —  
اسْمَهُ وَذِكْرَاهُ، وَجَذَبَتْ إِلَيْهِ كُلَّ مَنْ سَمِعَ بِهِ أَوْ رَأَهُ.